

"جريمة المذهب الطوسي الكبرى بحق دين العترة الطاهرة"، الجزء الثالث والعشرون.

العنوان السادس: صور متحركة من واقعنا المعاصر.

إنها صور في واقع المؤسسة المرجعية الطوسية، في واقع الحوزة الطوسية، وهذه الصور تقع في مستوى القدوة عند الكثيرين.

الصورة الأولى: ما يسمى في الحوزة الطوسية "بدروس الخارج".

دروس البحث الخارج : أعلى مستوى للتدريس والمحاضرات العلمية الدينية في الحوزة الطوسية، والذين يقومون بتدريس هذه الدروس بإلقاء هذه المحاضرات: مراجع الشيعة بالدرجة الأولى، والذين يهتدون أنفسهم للمرجعية في الفترة القادمة بالدرجة الثانية، وكذلك الأساتذة في الحوزة الذين نالوا درجة الاجتهاد بحسب قواعد وقوانين الحوزة الطوسية النجفية الكربلائية..

هذه المجموعات هي التي تدرس هذا التدريس الذي يصطلح عليه البحث الخارج، لماذا يوصف بالخارج لأن الدروس تكون من دون كتاب، إنها بحوث تلقى من قبل مدرستها من على المنبر على التلاميذ من دون أن يعودوا إلى كتاب معين أثناء الدرس كحال باقي الدروس الحوزوية.

ما قبل هذه المرحلة:

- فهناك مرحلة المقدمات.

- وهناك مرحلة السطوح.

- وهناك مرحلة السطوح العالية وهكذا.

هذه المراحل في الدراسة الحوزوية في الحوزة الطوسية النجفية تكون بالاعتماد على كتاب يقرأ منه المدرس، والطالب يتابع في الكتاب نفسه.

دروس الخارج تكون بطريقة أخرى؛ يكون الدرس مفتوحاً من دون كتاب، ولذلك يقال له البحث الخارج، من أنه يكون بعيداً عن الطريقة التي اعتاد عليها طلاب الحوزة في المراحل المتقدمة.

في أجواء الحوزة الطوسية؛ البحث الخارج شيء له منزلة باللحاظ العلمي، أو باللحاظ الديني، أو باللحاظ الشخصي لشخصية الذي يلقي تلك الدروس، له شأن بحسبهم، وإلا فإنه فئامة، لأن دروس الخارج هي عملية إجترار لما يقال له الاجتهاد، إنه الاجتهاد في الأحكام الشرعية، فدروس الخارج عملية إجترار يقوم بها المجتهد كي يعرض اجتهاده في المسائل الشرعية التي يتناولها في هذه الدروس، وممر علينا في الحلقات المتقدمة من أن عملية الاجتهاد باطله وبنحو قطعي وبدرجة مئة بالمئة بحسب القرآن..

في دروس الخارج؛ يتناولون الأحاديث ويتعرضون لأسانيدها، وبعد ذلك يتحدثون عن مضامين تلك الأحاديث إن صحت أسانيدها، هذا هو الذي يجري في دروس الخارج.

في الكتاب؛ (بحوث في علم الرجال)، لأصف محسني، الذي وصفته بالفايروس القذر / الطبعة الثانية/ ١٤٣٦ هجري قمري/ طبعة مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر / الجمهورية الإسلامية الإيرانية/ الصفحة الحادية والخمسين، عنوان البحث: (البحث الرابع: في اعتبار التوثيقات الموجودة)، إنه يتحدث عن التوثيقات الموجودة في كتب الرجال في المكتبة الشيعية الطوسية، رجال النجاشي على سبيل المثال، رجال الطوسي وهكذا، لن أقرأ لكم النصوص حتى لا أضطر إلى شرح المصطلحات، وإنما سألخص لكم كلامه:

أصف محسني تحدث عن أمرين في أهم ما تحدث عنه:

تحدث عن الأحاديث المرسلة، والمراد من الأحاديث المرسلة؛ "إنها الأحاديث التي رويت في كتب الحديث من دون سند".

وتحدث عن التوثيقات المرسلة، في كتب الرجال أيضاً، ما ذكره الرجاليون من توثيقات وحتى من قدح فإنهم ذكروا ذلك من دون سند، التقييمات الرجالية إذاً تقييمات مرسله.

أصف محسني يقول: هناك سؤال يطرح نفسه، وهذا السؤال لم أجده جواباً؛ لماذا نحن - يتحدث عن مراجع الشيعة - لماذا مراجع الشيعة يردون الروايات المرسلة لأنها من دون سند، ويعتمدون على التقييمات الرجالية وهي من دون سند؟ - ما هذه تقييمات من دون سند مرسله، فلماذا مراجع الشيعة لا يعملون بالروايات المرسلة لأنها من دون سند، ويعملون بالتقييمات الرجالية بالتوثيقات الرجالية المرسلة؟!

نحن إذا فتحنا رجال النجاشي وما هو بكتاب رجال هو فهرست النجاشي، ولكن بحسب تحريف وتزوير وتزييف المراجع الطوسيين الأذال جعلوا الفهرست كتاباً في الرجال بحسب تزويرهم، إذا فتحنا كتاب الرجال للنجاشي فإننا في المواطن التي يتحدث فيها النجاشي عن مدح أو عن قدح لراوي الحديث لا يذكر سنداً لكلامه، النجاشي توفي سنة (٤٥٠) للهجرة، وهو يتحدث عن رواة عاشوا قبله بقرون لم يلتقي بهم، فمدحهم تارة وقدحهم تارة أخرى ومن دون سند لمدحه وقدحه، فلماذا يقدم قوله ويؤخذ به مع أنه مرسل من دون سند في الوقت الذي ترفض الروايات في كتب الحديث لأنها مرسله من دون سند؟ لماذا يحكمون هنا هكذا ويحكمون هنا بطريقة أخرى؟!

الجواب عندي: إنه الشيطان الذي يعبث بهم، الشيطان الذي ينطق بالسنتهم، والشيطان الذي يحرك عقولهم بالاتجاه الذي يريد هُوَ، والشيطان الذي يكتب بأقلامهم، ألا لعنة الله على أقلامهم، ألا لعنة الله على أصواتهم ودروسهم وأحاديثهم القذرة.

سؤال وجيه جداً، مع أن أصف محسني طرح هذا السؤال ولم يجد له جواباً لكن عمله كعمل الباقيين، وقد دمر أحاديث العترة بنفس هذا البرنامج الخوئي الذي يبتني على هذا الأمر الذي يسأل عنه وما وجد له جواباً، أصف محسني كما يقول أخذ سؤاله وطرحه على الخوئي، إلا أن الخوئي لم يجبه ووعده أن يجيبه في كتابه حينما يطبع، وكان يقول الخوئي: إذا طبع كتابي في الرجال تجد جوابك فيه، ولما لاحظناه بعد طبعه رأيناه أنه رحمه الله أجاب عن الشق الأول أي حذسية التوثيقات دون الشق الثاني - الذي حدثتكم عنه، فلم يجب على سؤال أصف محسني لأن سؤال أصف محسني لا جواب له، هذا الإشكال

يَطْرَحُهُ الْمُحَدِّثُونَ وَالْأَخْبَارِيُّونَ عَلَى الْأَصُولِيِّينَ، قَدْ يَضْحَكُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِتَرْقِيعِ فَيَقُولُونَ: "إِنَّ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الرَّجَالِيُّونَ هُوَ حَدَسٌ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسِّ"، بِاعْتِبَارِ أَنْ التَّوْثِيقَ وَأَنَّ التَّقْيِيمَ الرَّجَالِيَّ لِبَدِّ أَنْ يَكُونَ حَسِيًّا وَإِلَّا كَيْفَ نَقِيْمُ الرِّجَالِ، ضَحِكٌ عَلَى الذَّقُونِ هَذَا، هُوَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَسِيًّا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ حَدَسِيًّا، حَدَسٌ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسِّ كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟!

ثُمَّ يَقُولُ أَصَفٌ مُحَسِّنِي: الْخَوِيُّ مَا أَجَابَنِي لَا بَنَحُو مُبَاشِرَ وَلَا كَمَا وَعَدَنِي مِنْ أَنَّهُ سَيَجِيبُنِي فِي كِتَابِهِ إِذَا مَا طُبِعَ!

يقول: وسألتُ مُحَسِّنَ الْحَكِيمِ وَمَا أَجَابَنِي مَا عِنْدَهُ مِنْ جَوَابٍ! وسألتُ الشَّيْخَ حَسِينَ الْحَلِّيَّ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِأَسْتَاذِ الْمَرَاجِعِ فِي النَّجَفِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ جَوَابٍ، وسألتُ السَّيِّدَ الْمِلَالِيَّ فِي مَشْهَدِ الْمَرْجِعِ الْمَعْرُوفِ، وسألتُ السَّيِّدَ الْخُمَيْنِيَّ فِي النَّجَفِ، وسألتُ غَيْرَهُمْ مِنْ مَرَاجِعِ النَّجَفِ، وسألتُ مَرَاجِعَ قُمْ، مَا هِيَ النَتِيجَةُ؟ (فَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِشَيْءٍ يَقْنَعُنِي).

هذه دروسُ الخارجِ تَبْنَى عَلَى مِثْلِ هَذَا الْهَزَالِ، هَذَا هُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ بَيْنَهُمْ..

مع ملاحظة: أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُرْسَلَةَ يُمْكِنُ أَنْ نَتَحَقَّقَ مِنْ مُتَوْنِهَا بِعَرْضِهَا عَلَى الْقُرْآنِ، بَيْنَمَا التَّقْيِيمَاتُ الرَّجَالِيَّةُ الْمُرْسَلَةُ لَا تُوجَدُ قَاعِدَةٌ مَعْلُومَاتُ نَسْتِطِيعُ أَنْ نَعْرِضَ تِلْكَ التَّقْيِيمَاتِ عَلَيْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَرْفُضُونَ الْأَحَادِيثَ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهَذِهِ التَّقْيِيمَاتِ، وَالْقُرْآنُ وَاضِحٌ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ لَا تَعْبُوهَا بِالسَّنَدِ - فَتَبَيَّنُوا﴾ - أَذْهَبُوا إِلَى الْمَتْنِ..

فِي الصَّفْحَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مُبَاحَثَةِ الْحُوزِيَّةِ مَعَ السَّيِّدَتَانِي وَيَقُولُ مِنْ أَنَّ السَّيِّدَتَانِي جَاءَنِي بِقَوْلٍ عَجِيبٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: (إِنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُرْسَلَةَ لَا يَتَوَقَّعُ فِيهَا التَّوَاتُرُ، أَمَّا التَّقْيِيمَاتُ الرَّجَالِيَّةُ الْمُرْسَلَةُ فَيَتَوَقَّعُ فِيهَا التَّوَاتُرُ)، عَلَى أَيِّ أُسَاسٍ؟ لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مَنْطِقِي، لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ جَوَابٍ، إِنَّهُ مَنْطِقُ الشَّيْطَانِ.

هُوَ نَفْسُهُ أَصَفٌ مُحَسِّنِي يَقُولُ فِي الصَّفْحَةِ الْخَامِسَةِ وَالْخَمْسِينَ: (وَلَعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالٍ أَحَدٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ - هَذَا الْكَلَامُ - سِوَى هَذَا السَّيِّدِ الْجَلِيلِ)، يَعْنِي أَنَّ هَذَا السَّيِّدَ الْجَلِيلَ لَا عَقْلَ لَهُ، يَعْنِي أَنَّ عَقْلَهُ تَرَلَّى، هَذَا هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ مَنْطِقِيًّا..

فِي الْحَاشِيَةِ، الصَّفْحَةِ الْخَامِسَةِ وَالْخَمْسِينَ يَقُولُ: وَقَرِيبٌ مِنْهُ - قَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْهَرَاءِ السَّيِّدَتَانِي مَا تَبَنَاهُ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الصَّدْرِ - مَا أَفَادَهُ بَعْضُ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ حِينَ مُذَاكِرَتِي مَعَهُ أَيْضًا فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فِي بَيْتِهِ بَعْدَ تِلْكَ الْمَذَاكِرَةِ بَعْدَ سَنَوَاتٍ - إِلَى أَنْ يَقُولَ: وَالْمُرَادُ السَّيِّدُ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ الْمُفَكِّرُ الْإِسْلَامِي الْكَبِيرُ السَّيِّدُ بَاقِرُ الصَّدْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى آخِرِ مَا قَالَ.

وَيَقُولُ فِي الْحَاشِيَةِ فِي الصَّفْحَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ: ثُمَّ إِنِّي لَقَيْتُهُ - بِخُصُوصِ السَّيِّدَتَانِي - بَعْدَ ١٧ سَنَةٍ مِنْ ذَاكَ اللَّقَاءِ - الَّذِي تَذَاكُرَا فِيهِ مَعًا بِخُصُوصِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - سَنَةِ ١٤١٤ هَجْرِي قَمَرِي فِي النَّجَفِ الْأَشْرَفِ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ جَدِيدٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ؟ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ غَيْرَ مَا قَالَهُ سَابِقًا - أَيَّ كَلَامٍ هَذَا وَأَيَّ مَنْطِقٍ هَذَا؟! حَتَّى لَوْ سَأَلْنَا الْمَجَانِينَ فَإِنَّهُمْ سَيَرْفُضُونَ هَذَا الْقَوْلَ، رَوَايَاتٍ مِنْ دُونِ سُنَدٍ وَتَقْيِيمَاتٍ رَجَالِيَّةٍ مِنْ دُونِ سُنَدٍ، هَؤُلَاءِ شَيَاطِينُ أَوْ أَنَّهُمْ جُنْدٌ لِلشَّيْطَانِ، يَنْطِقُ بِالسَّنَتِهِمْ وَيَنْظُرُ بِأَعْيُنِهِمْ..

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ؛ اسْمُ لَامَعٍ مَعْرُوفٍ فِي الْأَوْسَاطِ الشَّيْعِيَّةِ الطُّوسِيَّةِ.

كِتَابُهُ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ وَأَسَاطِيرُ أُخْرَى)؛

الْكِتَابُ يَتَأَلَّفُ مِنْ جَزَائِنَ كَبِيرَيْنَ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ١٤١٧ هَجْرِي قَمَرِي، طَبَعَهُ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْإِسْلَامِي، طَهْرَانَ، إِيرَانَ، هَذَا الْكِتَابُ هِرَاءٌ فِي هِرَاءِ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ شَخْصِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ مُوجُودَةٌ، بِحَسَبِ أَحَادِيثِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ، مَا يَقُولُهُ عُلَمَاءُ السَّنَةِ مِنْ وَجُودِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ فَإِنَّهُ قَوْلٌ صَحِيحٌ وَسَدِيدٌ، بَغْضِ النَّظَرِ عَنِ التَّفَاصِيلِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كُتُبِهِمْ، وَبِدَايَةُ تَشْكِيلِ الْفِرْقِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي الْأَجْوَاءِ الشَّيْعِيَّةِ بَدَأَتْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، شَخْصِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ مُوجُودَةٌ لَا كَمَا يَقُولُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ مِنْ أَنَّهُ شَخْصِيَّةٌ وَهْمِيَّةٌ وَكَأَنَّهُ فَتَحَ الْفُتُوحَ بِكِتَابِهِ هَذَا.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ شَخْصِيَّةٌ وَهْمِيَّةٌ هَذِهِ الْفِكْرَةُ نَقَلَهَا طَه حَسِينَ فِي كِتَابِهِ (الْفِتْنَةُ الْكُبْرَى)، نَقَلَهَا مُتَأَثِّرًا بِفِكْرِ الْمُسْتَشْرِقِينَ، الْمُسْتَشْرِقُونَ الْغَرَبِيُّونَ عِنْدَهُمْ طَرِيقَةُ بَحْثٍ أَكَادِمِيَّةٍ يَعْمَلُونَ عَلَى أُسَاسِهَا، فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ مِنْ أَنَّهُمْ تَبَنَوْا هَذَا الْقَوْلَ لِأَجْلِ كَذَا وَكَذَا، إِنَّمَا طَرِيقَتُهُمْ فِي الْبَحْثِ أَوْصَلَتْهُمْ إِلَى التَّشْكِكِ بِوُجُودِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ، السَّبَبُ هُوَ كَثَرَةُ الْأَكَاذِيبِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُتُبِ السَّنَةِ، وَالْمُسْتَشْرِقُونَ كُلُّ عَمَلِهِمُ الْاسْتِشْرَاقِي كَانَ فِي كُتُبِ الْمَكْتَبَةِ السَّنِيَّةِ، قَلِيلٌ جِدًّا مِنَ النَّشَاطِ الْاسْتِشْرَاقِيِّ تَنَاوَلَ الْمَكْتَبَةَ الشَّيْعِيَّةَ..

مَا هُوَ مُوجُودٌ فِي الْمَكْتَبَةِ السَّنِيَّةِ عَنْ شَخْصِيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ أَكَاذِيبُ وَتُرْهَاتُ يُنَاقِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَمِنْ هُنَا قَالَ الْمُسْتَشْرِقُونَ مِنْ أَنَّهُ شَخْصِيَّةٌ وَهْمِيَّةٌ، هُوَ شَخْصِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ، بَوَابُهُ الْغُلُوُّ وَبَوَابُهُ تَأْسِيسُ الْفِرْقِ الْبَاطِنِيَّةِ بَدَأَتْ مِنْ عِنْدِهِ، هَذَا بِحَسَبِ الْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ..

مُشْكَلُهُ هَؤُلَاءِ: الْحَقَائِقُ يَنْكُرُونَهَا، يَأْتِي مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ إِلَى أَحَادِيثِ الْعَتَرَةِ وَيَبْدَأُ بِتَضْعِيفِهَا وَبِتَمْزِيقِهَا، وَسَاضِرُ لَكُمْ مَثَالًا بِخُصُوصِ مَوْقِفِهِ مِنْ حَدِيثِ الْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ الْمَرْوِيِّ عَنِ الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ أَلَّفَ كِتَابًا بِخُصُوصِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، هَؤُلَاءِ يَأْتُونَ إِلَى الْحَقَائِقِ يَنْكُرُونَهَا، وَيَأْتُونَ إِلَى الْأَكَاذِيبِ فَيَعْتَقِدُونَ بِهَا.. الْخَوِيُّ فِي كِتَابِهِ (مَعْجَمُ رِجَالِ الْحَدِيثِ)، الْجُزْءُ الْحَادِي عَشَرَ مِنَ الطَّبْعَةِ الْمَزِيدَةِ وَالْمُنْقَحَةِ، صَفْحَةُ (٢٠٥)، رَقْمُ التَّرْجُمَةِ (٦٨٨٩): عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ - صَفْحَةُ (٢٠٧)، خُلَاصَةُ الْكَلَامِ عِنْدَ الْخَوِيِّ حَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ: مُضَافًا إِلَى أَنَّ أُسْطُورَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ - هَذَا الْمَعْنَى أَخَذَهُ مِنْ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ وَلَيْسَ مِنْ بَحْثِهِ وَاجْتِهَادِهِ هُوَ - وَقِصَصُ مُشَاغِبَاتِهِ الْهَائِلَةِ مَوْضُوعُهُ مُخْتَلَقٌ اخْتَلَقَهَا سَيْفُ بْنُ عُمَرَ الْوَضَاعُ الْكَذَّابُ - هَذَا هُوَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ - وَلَا يَسَعُنَا الْإِطَالَةُ فِي ذَلِكَ وَالْإِطَالَةُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَغْنَانَا الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ وَالْبَاحِثُ الْمُحَقِّقُ السَّيِّدُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ فِيمَا قَدَّمَ مِنْ دَرَسَاتٍ عَمِيقَةٍ دَقِيقَةٍ عَنِ هَذِهِ الْقِصَصِ الْخُرَافِيَّةِ وَعَنِ سَيْفِ وَمَوْضُوعَاتِهِ فِي مُجَلَّدَيْنِ صَخْمَيْنِ طَبْعًا بِاسْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ وَفِي كِتَابِهِ الْآخَرِ خَمْسُونَ وَمِئَةً صَحَاحِي مُخْتَلَقٌ - الْخَوِيُّ يَتَبَنَّى مَا تَبَنَاهُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ مِنْ دُونِ تَحْقِيقٍ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: (وَلَا يَسَعُنَا الْمَقَامُ الْإِطَالَةُ فِي ذَلِكَ وَالتَّحْقِيقُ عَلَيْهِ)، هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَثْبَتَهَا فِي تَقْيِيمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ هِيَ كَلِمَاتُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ..

الْوَاثِلِي كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ (هُيُوهُ التَّشْيِيعُ)، تَبْنَى نَفْسَ الْكَلَامِ، كَثِيرُونَ دَهَبُوا فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ الْحَقِيقَةَ الْمَوْجُودَةَ عَلَى أَرْضِ الْوَقَائِعِ..

كِتَابُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ الَّذِي عَوَانَهُ: (حَدِيثُ الْكِسَاءِ فِي كُتُبِ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ وَمَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ)، الرُّوُوسُ مُتَسَاوِيَةٌ، هَذَا هُوَ مَنْطِقُ الْحُوزَةِ الطُّوسِيَّةِ الْخُرَائِيَّةِ الْقَذَرَةِ، طَبْعَهُ الْمَجْمَعُ الْعِلْمِيُّ الْإِسْلَامِي، الْمَجْمَعُ تَابِعُ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ، طَهْرَانَ، إِيرَانَ. فِي هَذَا الْكِتَابِ مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ نَقَلَ النُّصُوصَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي كُتُبِ السَّنَةِ وَتَنَاوَلَتْ حَادِثَةَ الْكِسَاءِ، وَمِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ تَحْتَ كِسَاءٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ نَقَلَ النُّصُوصَ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَذَا الْخُصُوصِ مِنْ كُتُبِ السَّنَةِ، وَنَقَلَهَا أَيْضًا مِنْ كُتُبِ الشَّيْعَةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالْحَادِثَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَا لَا أَنْكُرُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ، هَذِهِ الْحَادِثَةُ وَقَعَتْ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، هَذِهِ حَادِثَةُ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، الْحَادِثَةُ الَّتِي هِيَ لِلْعَتَرَةِ وَشِيعَتِهِمْ هِيَ الَّتِي وَقَعَتْ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ، هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَنْكَرَهَا، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهَا، مَا أَنْتَ يَا مَرْتَضَى الْعَسْكَرِيُّ ذَكَرْتَ النُّصُوصَ مِنْ كُتُبِ الْمَخَالِفِينَ، وَذَكَرْتَ الْوَاقِعَةَ مِنْ كُتُبِ الْمَرَاجِعِ الطُّوسِيِّينَ، لِمَاذَا حِينَ وَصَلْتَ إِلَى حَدِيثِ الْكِسَاءِ

اليَمَانِي الَّذِي يُثَلُّ الحادثة الحقيقية في بَيْت الزَّهْرَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ تَكُنْ مُعْتَقِداً بِذَلِكَ عَلَى الْأَقْلَ فَأُثْبِتَ الرواية في الكتاب مثلما أُثْبِتَ الأحاديثُ مِنْ كُتُبِ المخالفين، الهدفُ مِنْ تَأليفِ هذا الكتاب هو إنكارُ حديثِ الكساءِ اليماني، هذا هو الهدف، حَقْدٌ شَدِيدٌ عَلَى أَحاديثِ أهل البيت..

في الصفحة الخامسة بعد العاشرة هكذا كَتَبَ مرتضى العسكري: حديثُ الكساءِ في روايةٍ أُخرى، اتَّفَقَتِ الرواياتُ السابقةُ في كُتُبِ الفريقين على أَنَّ آيةَ التطهيرِ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، وَقَدْ أَجْلَسَ حَوْلَهُ أَهْلَ بَيْتِهِ وَجَلَّلَ نَفْسَهُ وَإِبَاهُمْ بِالْكَسَاءِ - وهذا هو الَّذِي أَثْبَتَهُ مِنْ أَنَّ الواقعةَ حدثتْ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ونقلَ أَحاديثُ السنةِ وأحاديثُ الشيعةِ بهذا الخصوص.

وعارضت - لماذا عارضت؟! - وعارضت تلكم الروايات روايةً واحدةً غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ السَّنَدِ تَذَكُّرُ أَنَّ القِصَّةَ وَقَعَتْ في دارِ الزَّهْرَاءِ بِكَيْفِيَّةٍ أُخرى، غَيْرَ أَنَّ هذه الرواية الواحدة لا تُناهِضُ تلكَ الرواياتَ الكثيرةَ سَنَدًا وَمَتْنًا ولم نرى حاجةً لِلتَّعَرُّضِ لذكرها وَمُنَاقَشَتِهَا. وآخرُ دَعْوَانَا أَنَّ الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. مُرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ - هذا آخرُ الكتاب، في السطورِ الأخيرةِ مِنَ الكتابِ أَنْكَرَ الروايةَ ورفضَ أَنْ يَذْكُرَهَا.

بينما أَلَفَ كتابينِ مُفْصَلَيْنِ هذا الكتابُ في جزأينِ؛ (عبد الله بنُ سبأ) و (خمسون ومئة صحابي مُخْتَلَق)، في نفس هذا الاتجاه، وطَوَّلَ وَعَرَضَ وَكَدَّبَ الحقائقَ الموجودةَ عَلَى الأرض، وفي الآخرِ هُوَ يَحْتِجُّ في الأسانيد، وَبِحُثِّ الأسانيدِ الْقُرْآنُ يرفضه لا قيمةَ لَهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، لا شَأْنَ لَكُمْ بِنَاقِلِ الكلامِ إِذَا كَانَ فَاسِقًا فَتَبَيَّنُوا وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَاسِقًا أَيْضًا عَلَيْنَا أَنْ نَتَبَيَّنَ، لِأَنَّ الآيَةَ تَحَدَّثُ عَنْ عِلْمٍ، في الآيَةِ السادسةِ بعدِ البِسْمَةِ مِنْ سورةِ الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا - فَتَبَيَّنُوا - أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾، هذا يعني أَنَّ خَيْرَ الْفَاسِقِ سَيَكُونُ عِلْمًا، الْمَطْلُوبُ هُوَ أَنْ نَصِلَ إِلَى الْعِلْمِ، بَعْدَ التَّأَكُّدِ وَالتَّبَيُّنِ وَالتَّحْقِيقِ، خَيْرَ الثَّقَةِ لَا يَكُونُ عِلْمًا، إِذَا عَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنَ الْمَتْنِ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ هُنَا تَحْقِيقُ الْعِلْمِ..

- فَتَصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ، تكونونَ نَادِمِينَ إِذَا مَا عَمِلْتُمْ بِجَهَالَةٍ، وَإِنَّمَا ستكونونَ راضينَ إِذَا مَا عَمِلْتُمْ بِعِلْمٍ..

الصورةُ الثالثة: مرجعُ معاصرٍ كَمَالِ الحيدري.

- عرض الوثيقة الثامنة والعشرين من مجموعة وثائق كمال الحيدري.

تعلیق: واللَّهِ يَا سَيِّدَ كَمَالِ الْأَمْرِ لَيْسَ هَكَذَا، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِثْبَاتُ هذا الادِّعاء، كُتِبَ نَوَاصِبِ سَقِيفَةِ بني ساعدة يَصْدُقُ عَلَيْهَا هذا الكلام، أَمَّا كُتُبُ حديثِ العترة لا يَصْدُقُ عَلَيْهَا هذا الكلامُ مُطْلَقًا..

- عرض الوثيقة الخامسة والعشرين من مجموعة وثائق كمال الحيدري.

تعلیق: أَمْنِيَّةٌ صادقةٌ وَمِنَ الْقَلْبِ أَنْ يُرَاجَعَ كَمَالُ الحيدري نَفْسَهُ في هذه الإقامة الإجمالية، صَحِيحٌ أَنَّ الإقامة الإجمالية الَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِ ظُلْمٌ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ لَمْ يُحَاسَبُوا، إِذَا كَانَ كَمَالُ الحيدري لَا يَدَّ أَنْ يُحَاسَبَ لِمَاذَا لَمْ يُحَاسَبِ الْبَقِيَّةُ الْبَاقُونَ لَمْ يُحَاسَبُوا؟ لَكِنَّا يُمْكِنُ أَنْ تكونَ نعمةً، هذا أمر راجع للإنسان نفسه، إِذَا مَا جَعَلَهَا مساحةً لإعادة حساباته، أتمنى لَهُ وَمِنَ الْقَلْبِ أَنْ يَخْتَلِيَ مَعَ نَفْسِهِ طَوِيلًا كِي يَحْدَدَ مَوْقِفَهُ مِنْ إِمَامِ زَمَانِهِ، وَأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الزَّهْرَاءِ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا أَنْ تُعِينَهُ في هذا الأمر أَنْ يَحْدَدَ مَوْقِفَهُ عَقَائِدِيًّا مِنْ إِمَامِ زَمَانِهِ، وَاللَّهِ إِذَا مَا تَوَفَّقَ في هذا فَإِنَّهُ سيعرفُ الحقائقَ بِشكلٍ آخر..

العنوان السابع: الإعراضُ عن مَنْظُومَةِ الأدعيةِ والزِّيَّاراتِ.

العترة الطاهرة نَسَجُوا لَنَا وَنَظَّمُوا لَنَا مَنْظُومَةً واسعةً مِنْ زياراتِهِمْ وأدعيتِهِمْ وَمُنَاجياتِهِمْ، مَوْقِفُ الطُّوسِيِّينَ مِنَ الزِّيَّاراتِ والأدعيةِ والمُنَاجياتِ يَتَرَدَّدُ مَا بَيْنَ تَضْعِيفِ الأسانيدِ والتشكيكِ في المصادرِ وَبَيْنَ تَفَاهُتِهِمْ وَسَفَاهَتِهِمْ وَجَهْلَتِهِمْ في فَهْمِ مَضَامِينِ تلكَ النصوصِ، لَا يَدَّ أَنْ تَعْرِفُوا مِنْ أَنَّ نصوصَ الزِّيَّاراتِ ونصوصَ الأدعيةِ والمُنَاجياتِ وهي كثيرةٌ جَدًّا تُثَلُّ في ثقافةِ العترة الطاهرة خَطُّ الصِّدِّ، لِأَنَّ هذه النصوصَ يَصْعَبُ تَحْرِيفُهَا، عَوَامُ الشَّيعةِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَكْتَشِفُوا التَّحْرِيفَ فِيهَا إِذَا مَا كَانُوا قَدْ أَدْمَنُوا وَتَوَاصَلُوا بِشَكْلِ دَائِمٍ مَعَ الزِّيَّاراتِ والأدعيةِ، لَكِنْ مَرَّاجِعُ الْقِيَامَةِ الطُّوسِيَّةِ دَمَرُوا خَطُّ الصِّدِّ هَذَا وَلَمْ يَعْبُؤُوا بِهِ، إِنَّهَا سَوْرٌ لِحِمَايَةِ الأحاديثِ، الأحاديثُ إِمْكَانِيَّةٌ تَحْرِيفُهَا أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ وَكَثِيرٌ جَدًّا مِنْ إِمْكَانِيَّةِ تَحْرِيفِ نصوصِ الزِّيَّاراتِ والأدعيةِ والمُنَاجياتِ، وفي الوقتِ نَفْسَهُ هي بَوْرَةٌ مُرَكَّزَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ وللأسرارِ الْغَيْبِيَّةِ في مَقَامَاتِ وشؤونِ العترة الطاهرة، المراجعُ الطُّوسِيُّونَ هَجَمُوا عَلَى هذه الْمَنْظُومَةِ إِمَّا مِنْ خِلَالِ تَضْعِيفِ أسانيدِهَا، مِنْ خِلَالِ التَّشْكِيكِ في مصادِرِهَا، وَمِنْ خِلَالِ تَفَاهُتِهِمْ وَسَفَاهَتِهِمْ وَجَهْلَتِهِمْ الْوَاضِحَةِ في فَهْمِ هذه النصوصِ، وَالَّذِي يَدْفَعُهُمْ لِذَلِكَ؛ "السُّنَّةُ لَا يَمْتَلِكُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْكِنُوزِ"، وَلِذَا قَلِيسَ مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ السُّنَّةِ أَنَّ زياراتَ، أَنَّ أدعيةً، أَنَّ مُنَاجِيَاتٍ قَدْ وَرَدَتْ عِنْدَهُمْ، وَلِهَذَا السَّبَبُ فَإِنَّ الْمَرَّاجِعَ الطُّوسِيِّينَ لَا يَجْعَلُونَ الزِّيَّاراتِ والأدعيةِ والمُنَاجياتِ مِنْ مَصَادِرِ الْعَقِيدَةِ وَمِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ، وَلِذَا لَا ذِكْرَ لَهَا في تفاصيلِ عِلْمِ الكلامِ أَوْ في تفاصيلِ كُتُبِ العقائد، وَإِذَا مَا ذَكَرَهَا بَعْضُهُمْ فَإِنَّهَا تَذَكَّرَ عَلَى حَاشِيَةِ الْمَوْضُوعِ..

سأضرب لكم مثالين:

المثال الأول: الشَّيْخُ الْإِحْسَائِيُّ الشَّخْصِيَّةُ الَّتِي تُتَّهَمُ بِالْغُلُوِّ.

أهمُ نَصِّ عَقَائِدِيٍّ في زيارتنا الزَّيارَةَ الجامعةِ الكبيرةِ، شَرَحَهَا أَحْمَدُ الْإِحْسَائِيُّ شَرْحًا مَبْسُوطًا مَعْرُوفًا وَافِرًا مُفْصَلًا، الْكَثِيرُونَ يَعْدُونَهُ أَفْضَلَ شُروحِ الزَّيارَةِ الجامعةِ الكبيرةِ، وَهُوَ شَرْحٌ مُفِيدٌ نَافِعٌ، لَكِنْ الْإِحْسَائِيُّ ارْتَكَبَ قَبِيحَةً لَا تُمَاطِلُهَا قَبِيحَةٌ في هذا الشرحِ، مَعَ جُودَةِ عَقَائِدِ الرَّجُلِ، وَمَعَ كَثَرِ الْفَائِدَةِ وَالْمَنْفَعَةِ في شَرْحِهِ لِلزَّيارَةِ الجامعةِ الكبيرةِ، هذه أُمُورٌ لَا يَدَّ أَنْ تَذَكَّرَ وَلَا يَدَّ أَنْ تُثَبَّتَ، لَكِنَّا ارْتَكَبَ قَبِيحَةً لَا تُمَاطِلُهَا قَبِيحَةٌ حِينَ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ مُخْتَلَةً في الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى، فَجَعَلَ لَهَا مَنْزِلَةً دُونَ مَنْازِلِ أَبْنَائِهَا الْأُمَّةِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ بِإِمَامَتِهَا وَلَا يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ.

أُمَّةُ الْأُمَّةِ ثَلَاثَةٌ: "مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَقَاطِمَةُ"، وَقَاطِمَةُ أُمَّةُ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهَا، إِنَّهَا أُمَّةُ أَوْلَادِهَا الْمَعْصُومِينَ مِنَ الْحَسَنِ الْمُجْتَبَى إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ.

الْإِحْسَائِيُّ لَوْ سَأَلْتَنِي لِمَا فَعَلَ هَذَا؟!

أَقُولُ: إِنَّ الرَّجُلَ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ فَسَقَطَ في الهاويةِ، لِأَنَّ الْإِحْسَائِيَّ هَكَذَا يَقُولُ في طَوَايَا كَلَامِهِ: مِنْ أَنَّ كَلَامَهُ مَعْصُومٌ لَيْسَ لِأَنَّهُ مَعْصُومٌ، لِأَنَّهُ يَنْقُلُ كَلَامَ الْمَعْصُومِ، وَهَذَا هَرَاءٌ، هَذَا الْإِعْجَابُ بِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي أَسْقَطَهُ في الهاويةِ وَذَهَبَ في مُنْحَدَرٍ بَعِيدٍ..

في الجزء الثاني من (شرح الزيارة الجامعة الكبيرة) للإحسائي، طبعهُ مُؤَسَّسَةُ الْإِحْقَاقِي، صَفْحَةُ (٤١٢)، مَجْمُوعَةُ آثَارِ الْإِحْسَائِيِّ: وفي هذه الحالة لا يَخْتَصُّ الْاِسْتِثْنَاءُ بِالنَّبِيِّ وَعَلِيِّ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا لِأَنَّ مَقَامَاتَهُمْ مُتَفَاوِتَةٌ كَتَفَاوُتِهِمْ، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَبَقَهُمْ وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَقَامَهُ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَبَقَهُمْ وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَقَامَهُ، وَكَذَلِكَ الْحَسَنُ بَعْدَ عَلِيٍّ، ثُمَّ الْحَسَنِ، ثُمَّ الْقَائِمُ، ثُمَّ الْأُمَّةُ الثَّمَانِيَّةُ - مِنَ السَّجَادِ إِلَى الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ - ثُمَّ قَاطِمَةُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ.

وَعَادَ فِكْرَهُ في الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنَ (شرح الزيارة الجامعة الكبيرة)، في الصَّفْحَةِ الْأَرْبَعِينَ بَعْدَ الثَّلَاثِمَةِ: كَمَا تَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلِيٌّ عَلَى الْحَسَنِ، وَالْحَسَنُ عَلَى الْحَسَنِ، وَالْحَسَنِ عَلَى الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ عَلَى الْأُمَّةِ الثَّمَانِيَّةِ، وَهُمْ عَلَى قَاطِمَةَ، عَلَى مَا ظَهَرَ لِي - مَا ظَهَرَ لِلْإِحْسَائِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

فمنزلة فاطمة هي دُونَ منازل الجميع؛ "مُحَمَّدٌ، عَلِيٌّ، الْحَسَنُ، الْحُسَيْنُ، الْقَائِمُ، السَّجَادُ وبعدَ السَّجَادِ يأتي الباقرُ، وهكذا إلى إمامنا الحسن العسكري، وبعدهم جميعاً تأتي فاطمة"، مَنْطِقٌ أخرق، وضلالٌ واضح، وَقَبِيحَةٌ لَا تَمَانِيهَا قَبِيحَةٌ، خُصُوصاً إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِحْسَائِي، فَحَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

الأقبح ما ذكره الإحسائي في كتابه (جوامع الكلم)؛

في الجزء الثالث، وهو الجزء الثالث عشر من مجموعة آثار ومؤلفات الإحسائي، طبعه مُؤَسَّسَةُ الإحقاقي؛ (الرَّسَالَةُ السُّلْطَانِيَّةُ)، وهي رسالة وَجَّهَهَا السُّلْطَانُ القاجاري فتح علي شاه إلى الإحسائي سأله أسئلته فأجابَه على أسئلته، من جملة أسئلة السلطان القاجاري ما يَرْتَبِطُ بمنزلة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بالقياس إلى سائر المعصومين: وَأَمَّا فاطمة عليها السلام - صفحة (٣١٦) وما بعدها - فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شَأْنِهَا، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا بَعْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ مِنْ بَنِيهَا الْأَحَدَ عَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْعَةِ - مِنَ السَّجَادِ إِلَى الْقَائِمِ - وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الْاِثْنِي عَشَرَ كُلُّهُمْ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَسَبَبُ الْاِخْتِلَافِ اِخْتِلَافُ الرِّوَايَاتِ، وَالَّذِي يَتَرَجَّحُ عِنْدِي - عِنْدَ الْإِحْسَائِيِّ - أَنَّ فَضْلَهَا بَعْدَ الْأُمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ وَهُوَ الْقَوْلُ الْأَخِيرُ لِعُمُومِ الْآيَةِ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ - يَا أَيُّهَا الْإِحْسَائِيُّ هَذِهِ الْآيَةُ مَا هِيَ بِكَلَامٍ مِنَ اللَّهِ، هَذَا الْكَلَامُ نَقَلَهُ اللَّهُ عَنْ أُمِّ مَرْيَمَ، فَهَلْ تَحْكُمُ عَلَى مَنْزِلَةِ فَاطِمَةَ بِقَوْلِ قَائِلِهِ أُمِّ مَرْيَمَ فِي شَأْنٍ خَاصٍ يَرْتَبِطُ بِحِكَايَةِ مُعِينَةٍ؟! إِنَّهَا حِكَايَةُ وَلَادَةِ مَرْيَمَ وَوِلَادَةِ الْمَسِيحِ، فَعَمْرَانِ وَالِدُ مَرْيَمَ كَانَ قَدْ أَخْبَرَ زَوْجَتَهُ وَأَخْبَرَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ أَنَّهُ سَيَرْزُقُ وَلِداً ذَكَراً، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ مِنْ أَنَّ الْوَلَدَ الذَّكَرَ سَيَكُونُ مِنْ زَوْجَتِهِ، فَوَلَدَتْ زَوْجَتَهُ بِنْتاً وَهِيَ مَرْيَمَ، وَكَانَ الْوَلَدُ مُنْذُوراً لِلْمَعْبُدِ الْإِسْرَائِيلِيِّ، فَلَمَّا وَلَدَتْ بِنْتاً قَالَتْ: "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى"، وَهَذِهِ مَا هِيَ عَقِيدَتُهَا، إِنَّهَا عَقِيدَةُ رِجَالِ الدِّينِ الْيَهُودِ..

الْقُرْآنُ بَيْنَ أَيْدِينَا؛

في سورة آل عمران، الآية الخامسة والثلاثين بعد البسملة من السورة: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، كَانَتْ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُرْزَقَ بَوْلَدٍ ذَكَراً، لِأَنَّ زَوْجَهَا قَبْلَ وَفَاتِهِ وَهُوَ نَبِيٌّ، عِمْرَانُ النَّبِيُّ قَالَ: مِنْ أَنَّنِي سَأَرْزُقُ وَلِداً ذَكَراً وَهُوَ الْمَسِيحُ، مَا قَالَ مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيَكُونُ مِنْ زَوْجَتِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ سَأَرْزُقُ وَلِداً ذَكَراً، وَقَدْ رَزِقَ وَلِداً ذَكَراً مِنْ خِلَالِ بَنْتِهِ مَرْيَمَ، فَكَانَتْ تَتَوَقَّعُ حَنَّهُ، أُمِّ مَرْيَمَ إِسْمُهَا حَنَّةٌ، فَكَانَتْ تَتَوَقَّعُ حَنَّهُ أَنَّهَا سَتَنْجِبُ وَلِداً ذَكَراً - فَتَقْبِلَ مِنِّي - نَذَرْتُ وَلِداً ذَكَراً هَكَذَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ أَنَّهَا سَتَنْجِبُ، لِأَنَّ الْيَهُودَ لَا يَقْبَلُونَ بِحَسَبِ شَرْعِهِمْ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةٌ فِي الْمَعْبَدِ بِحَسَبِ مَا هُمْ يَعْتَقِدُونَ، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى - فَهَذَا الْكَلَامُ مَا هُوَ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا رَوَاهُ اللَّهُ لَنَا فِي الْقُرْآنِ عَنْ أُمِّ مَرْيَمَ، وَمَا هُوَ بِعَقِيدَةِ أُمِّ مَرْيَمَ، هَذِهِ عَقِيدَةُ رِجَالِ الدِّينِ الْيَهُودِ عَقِيدَةُ ضَلَالٍ..

وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَتْرُكَ كُلَّ هَذَا وَكَانَتِ الْآيَةُ كَلَاماً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الذَّكَرَ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْأُنْثَى فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، قَدْ يَكُونُ الذَّكَرُ أَفْضَلَ مِنَ الْأُنْثَى، وَقَدْ تَكُونُ الْأُنْثَى أَفْضَلَ مِنَ الذَّكَرِ، الْوَاقِعُ يَقُولُ بِهَذَا، فَبَعْضُ الذُّكُورِ أَفْضَلُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، وَبَعْضُ الْإِنَاثِ أَفْضَلُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، الْوَاقِعُ يَقُولُ، التَّارِيخُ يَقُولُ، الْمَنْطِقُ السَّلِيمُ يَقُولُ، فَمَا بِالْكَوْنِ وَالْآيَةِ لَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي مَضْمُونِهَا إِنَّمَا اللَّهُ رَوَاهَا. هُنَاكَ مُشْكَلَةٌ فِي الثَّقَافَةِ الْقُرْآنِيَّةِ؛ كَثِيراً مَا أَسْمَعُ مِنَ النَّاسِ وَحَتَّى فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ؛ "مِنْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ عَنِ النِّسَاءِ مِنْ أَنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ"، هَذَا مَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، هَذَا كَلَامُ عَزِيزٍ مِصْرَ نَقَلَهُ اللَّهُ، الَّذِي يَنْسِبُ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ مَضْمُوناً فَهُوَ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ، لَفْظاً نَقَلَهُ اللَّهُ، أَمَّا الْمَضْمُونُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ، هَذَا كَلَامُ عَزِيزٍ مِصْرَ مَعَ زَوْجَتِهِ زَلِيخَةَ..

يَتَرَدَّدُ هَذَا عَلَى الْأَلْسِنَةِ كَثِيراً وَهُنَاكَ مِصَادِيقٌ وَشَوَاهِدٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ، لِأَنَّ مُبَيَّنَ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ لَفْظاً وَمَضْمُوناً، وَبَيْنَ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَهُ اللَّهُ لَفْظاً رَوَى لَنَا مَضْمُوناً عَنِ الْآخَرِينَ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ جِدّاً فِي الْقُرْآنِ..

هَذَا مِثَالٌ لَشَخْصِيَّةٍ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَيِّئَ الظَّنَّ بِهَا فِي حَرْصِهَا الْعَقَائِدِي، أَوْ فِي اهْتِمَائِهَا بِحَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَالْشَيْخُ الْإِحْسَائِيُّ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْفُهُ بِأَنَّهُ مَمَّنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ، أَوْ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ؛ "إِعْجَابُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي أَوْدَى بِهِ فَسْقَطٌ فِي هَذِهِ الْهَآوِيَةِ الْعَمِيقَةِ"، مُشْكَلَتُهُ مَعَ الزَّهْرَاءِ مُشْكَلَةٌ كَبِيرَةٌ، أَنْ تَكُونَ الْمَشْكَلَةُ الْعَقَائِدِيَّةُ مَعَ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهَا..

مِنَ الْإِحْسَائِيِّ إِلَى مَرْضَى الْعَسْكَرِيِّ، إِلَى أَمْوُذِجٍ مِنْ أَوْضَحِ النِّمَازِجِ التَّقْصِيرِيَّةِ فِي الْوَسْطِ الشَّيْعِيِّ.. كِتَابُ عُنْوَانِهِ: (مَنْتَخَبُ الْأَدْعِيَةِ)، طَبْعَةُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، الْمَجْمَعُ تَابِعٌ لِمَرْضَى الْعَسْكَرِيِّ، طَهْرَانَ، إِيرَانَ، كِتَابٌ لَيْسَ كَبِيراً، جُمِعَتْ فِيهِ أَدْعِيَةٌ وَزِيَارَاتٌ مِنْ زِيَارَاتِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ قَدَّمَهُ مَرْضَى الْعَسْكَرِيِّ لَطَّلَابِ حَوْزَتِهِ.

الطبعة الأولى/ ١٤٠٤ هجري قمري/ في المقدمة يتحدث مريضى العسكري عن الأدعية والزيارات ويشكل على ما جاء من آداب في زيارة سرداب الغيبة، في آخر المقدمة: (مرضى العسكري ١٦/ رجب/ ١٤٠٣ هجري قمري). سَأَبِّينَ لَكُمْ مَقْصِدِي مِنْ عَرْضِ هَذَا الْكِتَابِ.

الكتاب اشتمل على مجموعة من الأدعية المروية عن العترة الطاهرة في شطره الأول، في الشطر الثاني من الكتاب زيارات المعصومين، أورد الكتاب زيارات المعصومين إلى الإمام الحسن العسكري وانقطع الكلام فليس هناك من زيارة لإمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه، حينما كُنتُ في إيران وانتشر هذا الكتاب اتصلت بالمجمع العلمي الإسلامي، اتصلت بهم وقلت لهم: ربما نسيتم زيارات الإمام الحجة؟! فقالوا: لا، هذا هو الذي يريده مريضى العسكري، أنا كُنتُ متأكداً من أنَّ هذا هو الذي يريده مريضى العسكري، لكنني أردتُ أن أحصل على هذه المعلومة لأنني أعرف الشيعة الحميم الذين أعيش في أوساطهم من أنهم سيقولون من أنَّ صاحب المطبعة هو الذي حذف الزيارات دفاعاً عن مريضى العسكري، من أنَّ سهواً قد حدث، القضية مقصودة بدرجة قطعية كاملة.

السؤال: لماذا؟!

خُصُوصاً وَأَنَّ مَرْضَى الْعَسْكَرِيِّ فِي الْمَقْدَمَةِ قَالَ: "مِنْ أَنَّنَا جَمَعْنَا مَا جَمَعْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَفَقّاً لِقَاعِدَةِ التَّسَامُحِ فِي أدلة السنن"، يَعْنِي أَنَّهُمْ جَمَعُوا أَدْعِيَةَ وَزِيَارَاتٍ بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ، لَكِنْ لِأَنَّهَا أَدْعِيَةٌ وَزِيَارَاتٌ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، هَذِهِ قَاعِدَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ؛ "قَاعِدَةُ التَّسَامُحِ فِي أدلة السنن"، لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاقَشَ كُلَّ الْمُطَالِبِ، إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ فَلِمَ إِذَا لَمْ تَنْقُلُوا زِيَارَاتِ الْإِمَامِ الْحُجَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ؟! وَفِي الْمَقْدَمَةِ انْتَقَدَ زِيَارَةُ السَّرْدَابِ الشَّرِيفِ، وَانْتَقَدَ مَا يَذْكَرُ فِي كُتُبِ الْأَدْعِيَةِ وَالزِّيَارَاتِ مِنْ آدَابٍ مُعِينَةٍ لَزِيَارَةِ السَّرْدَابِ.

هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ الشَّيْعِيُّ، هَذِهِ صُورٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الرَّمُوزِ الْكَبِيرَةِ..

أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْلُطَ الضَّوْءَ عَلَى كُلِّ قِذَارَاتِ الطُّوسِيِّينَ، إِنَّهَا أَمَثَلَةٌ، إِنَّهَا شَوَاهِدٌ أَضَعُهَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ..